

بسم الله الرحمن الرحيم

قيس بن صرمة (رضي الله عنه)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (مع الصحابة في رمضان) ومع صحابي جديد وموقف جديد ، ذلكم الصحابي هو قيس بن صرمة (رضي الله عنه) .

هذا الصحابي الجليل مختلف في اسمه ، فقد وقع عند البخاري أنه (قيس بن صرمة) بكسر الصاد المهملة وسكون الراء ، وعند أبي داود أنه (صرمة بن قيس) . ووقع عند أحمد والنسائي أنه (أبو قيس بن عمرو) ، وقيل (أبو قيس بن صرمة) و (صرمة بن أنس). والجمع بين هذه الروايات أنه أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن مالك بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، كذا نسبه ابن عبد البر وغيره .

قال ابن إسحاق : كان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، وفارق الأوثان، واغتسل من الجنابة وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له فاتخذ مسجداً ، لا يدخل عليه طامث ولا جنب ، وقال : أعبد رب إبراهيم . فلما قدم رسول الله ص المدينة أسلم وحسن إسلامه، وهو شيخ كبير، وكان قوالاً بالحق، معظماً لله في الجاهلية ، وكان يقول في الجاهلية أشعاراً حسناً، يعظم الله تعالى فيها ، وهو الذي يقول:-

يقول أبو قيس وأصبح ناصحاً
ألا ما استطعتم من وصاتي
فافعلوا

أوصيكم بالله والبر والتقوى
وأعرضكم والبر بالله
أول

وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهم
وإن كنتم أهل الرياسة
فافعلوا

إلى آخر القصيدة ...

وهو الذي يقول ذاكراً رسول الله ص والأنصار :-

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلفي صديقاً
مواتياً

ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوي ولم ير
داعياً

فلما أتانا واستقرت به النوى
وأصبح مسروراً بطيبة
راضياً

وأصبح ما يخشى ظلامة ظالم
بعيد ولا يخشى من الناس
باغياً

بذلنا له الأموال من جل مالنا
وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
(١)

أيها المستمعون الكرام، وأما ما يتعلق في شهر رمضان من مواقف هذا الصحابي الجليل ، ما رواه البخاري عن البراء (رضي الله عنه) قال: كان أصحاب محمد ص إذا كان الرجل صائماً، فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت لا، ولكن أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل ، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رآته قالت: خيبة لك. فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ص فنزلت هذه الآية { أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم } ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت { وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود } (٢).

أيها المستمعون ، تدلنا قصة قيس بن صرمة أن المسلمين في أول الصيام إذا أفطروا يأكلوا ويشربوا ويأتوا النساء ، مالم يناموا ، فإذا ناموا لم يفعلوا من ذلك شيئاً إلى مثلها ، وكان المنع من ذلك مقيداً بالنوم ، فكان الرجل إما يبقى مستيقظاً لا ينام من أجل أن يأكل ويشرب ، أو ينام فتطول عليه مدة الصيام . فتصور أخي المستمع ما في الصيام من المشقة مع هذه الحال ، إضافة إلى قلة ما عندهم من الطعام ، وما يبذلونه من الجهد في نهار الصيام.

(١) انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، ١٣٠/٤ . وابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (المطبوع على هامش الإصابة ٢/٢٠٣ ، ٤/١٥٩، ١٥٨ .

(٢) الجامع الصحيح ، كتاب الصوم ، حديث رقم ١٩١٥ .

وكان صرمة بن قيس (رضي الله عنه) جاء إلى أهله وقت الإفطار بعد جهد عمل ذلك اليوم ، وقد جاء إلى أهله وهو يعلم أنهم لم يعدوا له أصنافاً من الطعام كما هي حال الناس اليوم ، ولا يريد شيئاً من هذه الأصناف ، إنما يريد ما يسد به جوعه ، لذا فقد سأل امرأته قائلاً (أعندك طعام ؟) أي طعام يسد به جوعه ، فقالت : لا ، ولكن أنطلق أطلب لك .
ظاهرة أنه لا يوجد عندها شيء ، ولم يأت معه بشيء .

قال ابن حجر : لكن في مرسل السدي أنه أتاها بتمر ، فقال : استبدلي به طحيناً واجعليه سخيناً ، فإن التمر أحرق جوفي ، وفيه : لعلني آكله سخناً ، وإنها استبدلته له وصنعتة . وفي مرسل ابن أبي ليلى : فقال لأهله : أطعموني ، فقالت حتى أجعل لك شيئاً سخيناً .

ولما ذهبت امرأة قيس تطلب له الطعام غلبته عيناه من شدة التعب فنام ، فلما جاءته امرأته ورائته على هذا الحال قد نام، وحرّم عليه الأكل قالت (خيبة لك)، والخيبة الحرمان، يقال : خاب يخيب إذا لم ينل ما طلب .

وبات صرمة طاوياً وأصبح في نهاره صائماً ، فلما انتصف النهار غشي عليه من الجهد، فذكر ذلك للنبي ص فنزلت هذه الآية { أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم } ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت { واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود } ، فكان ذلك رحمة بعباده المؤمنين ، وتيسيراً على الصائمين ، كما في قوله سبحانه وتعالى { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }^(١) .

أيها المستمعون الكرام، لا بد أن ندرك نعمة الله سبحانه تعالى علينا بهذا التيسير الذي يسره لنا ، ولم تبق الحال في الصيام كما هي عليه في أول الأمر ، بل شرع لنا ليلة الصيام الأكل والشرب ، الرفث إلى النساء ، حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، بل سن لنا تأخير السحور، وتعجيل الفطور تيسيراً على الصائم، وبمقابل هذه النعمة لا بد أن نشكر الله سبحانه وتعالى عليها، والشكر على تيسير الصيام يكون في الحرص على الصيام نفسه، والحرص على إتمامه وإكماله على الوجه الذي يرضي المنعم سبحانه وتعالى.

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨٤ .

أيها المستمعون الكرام ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،
وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .